المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الذات المستلبة
في شعر هاشم شفيق

The Alienated self
in the poetry of Hashem Shafiq

بقلم الدكتورة

نجلاء بنت راشد بن علي آل حماد

قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،
المملكة العربية السعودية.

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق

نجلاء بنت راشد بن علي آل حماد

قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : najla.r.a@hotmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبرز حالات الذات الشاعرة المستلبة في شعر هاشم شفيق في أرض المنفى، التي اكتسبت خصوصية مكنتها من اكتساب عدد من السمات كونت منها ذاتا متفردة لها سمات ميزتها عن غيرها؛ حيث إن طبيعة حضور الذات بمخزونها وتجاربها القوية في نصوصه جعلت منها مادة خصبة للدراسة، كما يهدف في النهاية إلى الوقوف على أبرز مسببات استلاب الذات، وأثر الغربة المكانية على وجه التحديد في تشكيلها، وعليه فإنه يبحث في إجابة التساؤل الآتي: ما مدى أثر الغربة في تشكيل الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق؟

ولقد سار على المنهج الموضوعاتي الذي يهتم بالقراءة العميقة للنصوص، واستقراء الثيمات الأساسية التي نهضت عليها، وهو ما يحقق أهداف البحث.

أما النتائج التي توصل إليها هذا البحث فقد قدمت صورة عامة عن أبرز حالات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق، وأثر الغربة المكانية في تشكيل الذات المستلبة، وأنها المتسبب الأبرز في استلاب الذات، مما نتج عنها ردود أفعال مختلفة كالرضوخ، والتخيلات، وإيثار العزلة، والتشويه، والهروب وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الذات الشاعرة، الاستلاب، المنفى، الاغتراب، هاشم شفيق.

The Alienated self in the poetry of Hashem Shafiq

Najla Rashid Ali Al Hammad
Department of Literature, Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Al-Imam Mohammed bin Saud Islamic University in Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: najla.r.a@hotmail.com

Abstract

This research aims to reveal the most prominent cases of the poet's self in the poetry of Hashem Shafiq in the land of exile. The alienated self gained a peculiarity that enabled it to acquire a number of features that formed a unique and a distinguished presence. The strong nature of the self through its experiences in the texts made it material for study, and a way to finally understand most prominent causes of self-alienation, and the impact of spatial alienation in its formation, eventually answering the following question: What is the impact of exile on the formation of the alienated self in the poetry of Hashem Shafiq?

The results of this research have made it possible to provide a general picture of the most prominent cases of the self that is absorbed in poetry of Hisham Shafiq, and the impact of spatial alienation on the formation of the alienated self, which results in the reaction of actions such as, submissive self, imaginative, cherishing isolation, mutilation, exile, and others.

Keywords: poet's self , alienation , exile , Hashem Shafiq.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اكتسبت الذات الشاعرة في شعر هاشم شفيق[١] في أرض الغربة خصوصية مكنتها من اكتساب عدد من السمات التي كونت منها ذاتا متفردة لها سمات ميزتها من غيرها، فطبيعة حضور الذات بمخزونها وتجاربها القوية في هذه النصوص جعلت منها مادة خصبة للدراسة، وإضافة إلى هذا الحضور شكلت أزمة الانتقال، ومعاناة الوطن الأم، والظروف الحياتية التي عانى منها الشاعر وغيرها في مجموعها أزمة عانت منها الذات المغتربة.

ويمكن القول بأن لهذه الذات الشاعرة في شعر هاشم شفيق، وجهان هما: الذات الفاعلة، والذات المستلبة، وهذا البحث يركز على تجليات ذات الشاعر المستلبة في شعر هاشم شفيق، كونها الأكثر حضورا أولا، وذات أهمية من كونها ذاتا خرجت عن المألوف، وتعددت الظروف والأسباب والمؤثرات التي صاغتها وشكلتها.

---

(١) هاشم شفيق (١٩٥٠م-الآن): ولد في العراق، بدأ مشواره الأدبي في مطلع السبعينيات، نشر أشعاره في الصحف والمجلات العراقية، والعربية، والعالمية، كما نشر العديد من المقالات النقدية في ميادين الشعر، والقصة، والرواية، والبحث الأدبية، والفكرية، وله كتابات في أدب الرحلات، غادر العراق عام ١٩٧٨م، حيث أقام في كل من: باريس، وبيروت، ودمشق، ونيقوسيا، وبراغ، وأخيرا لندن، تُرجمت أشعاره إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والبولونية، والأسبانية، والكردية، والفارسية، صدر له في الشعر: «قصائد أليفة»، و«أوراق لنشيد ضائع»، و«صباح الخير بريطانيا» وغيرها.

ينظر: لطفي حداد، أنثولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر، دار صادر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٤م، ١/ ٤٨٧.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حالات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق، وردود أفعال الذات إزاءها، وأثر الغربة المكانية على وجه التحديد في تشكيلها، وعليه فإنه يبحث في إجابة التساؤل الآتي: ما مدى أثر الغربة في تشكيل الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق؟ كما سيركز على الأعمال الشعرية التي كُتبت في أرض الغربة، لا على أرض الوطن.

وإذا كان ثمَّ هدف عام يمكن صياغته من بين تلك الأهداف فسيكون تأكيد الدور الذي اضطلع به الشعر في الإفصاح عن ذات الشاعر المستلبة، وفي تشكيل تصوّر خاص عنها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف آثرت أن يكون منهج البحث المنهج الموضوعاتي الذي يمكّن من دراسة كيفية إدراك الشاعر المغترب ذاته، فالقراءة الموضوعاتية تهدف إلى اكتشاف البنية العميقة لخيال الشاعر المغترب من خلال البحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها معنى العمل الأدبي، فيسبر غور العمل الشعري من خلال طرحه لقراءة مصغرة تستهدف الانتهاء إلى قراءة مكبرة في شكل ملاحقة لتداعيات اللغة التي تعد بالنسبة إلى هذا النقد الطريق الوحيد والحقيقي للتعبير.[1]

وفيما يخص عينة الدراسة، فقد وقع الاختيار على نماذج من شعر هاشم شفيق الشعري في أرض الغربة، (براغ-لندن-قبرص...)، وراعيت في اختيار النصوص الشعرية ظهور الذات المستلبة بشكل واضح، وتنوع حالاتها، وعليه فهذا البحث لا يزعم الإلمام بكل النماذج الشعرية، بل قام على الانتقاء بما يخدم أهداف البحث ويجلّيها.

ولقد شرعتُ في بناء هيكل البحث بعد أن تحقَّقت لدي جدوى دراسة الذات المستلبة فيشعر هاشم شفيق من خلال تحقُّق باعثين، أحدهما علميٌّ،

(١) ينظر: د. سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مطبعة بابل، المغرب، د.ط، د.ت، ص:١٠٥.

وهو وفرة نماذج هذه الذات لديه، والآخر إجرائيٌّ، وهو انتفاء دراستها دراسة متخصصة، مستقلة؛ إذ إنَّ أغلب الدراسات تدور حول الذات المغتربة، وهي كانت عبارة عن متفرقات مبثوثة هنا وهناك، وأبرزها:

١- «أدب المنفى: دراسة في الأدبيات العراقية»، فاطمة المحسن، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ط: ١، ٢٠١٨م، ولقد ركزت على دراسة أثر المنفى في الأدب العراقي بشقيه الشعر، والنثر في الثمانينيات، والتسعينيات، وأشارت إلى نموذج من شعر هاشم شفيق في أرض الغربة.

ولا تخفى القيمة العلمية لهذه الدراسة، حيث استفاد منها البحث، غير أنه يُلحظ أن موضوع «الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق» يكاد يختفي من بين فصول الكتاب، وعليه فإنَّ دراستي تختلف عنها في الإلحاح على دراسة الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق، والكشف عن حالاتها، وأثر الغربة فيها، وهو ما يختلف اختلافاً جذريّاً عمَّا تناولته الدراسة السابقة.

ولقد قام البحث على مخطط مكون من مبحثين:

- **المبحث الأول**: **ضبط المفاهيم**:
  ١- الذات الشاعرة.
  ٢- الاستلاب.
- **المبحث الثاني**: **حالات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق**:
  ١- الذات المغتربة.
  ٢- الذات المتشائمة.
  ٣- الذات المحبطة.

وأخيراً فإنَّ هذا البحث ما كان ليتمّ لولا فضل المنعم – سبحانه وتعالى– فله الحمد على ما يسَّر وأعان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

١- مفهوم الذات الشاعرة:

يشكل مفهوم الذات بعامة إشكالية كبيرة لدى الدارسين، من حيث كثرة العلوم التي تتشارك فيه، لذا فمن الصعوبة الوقوف على مفهوم اصطلاحي واحد للذات، إذ إن كل علم يحاول مقاربة هذا المفهوم من منطلقاته الخاصة، وبناء عليه فهذا المبحث سيركز على مفهوم الذات في الدراسات الأدبية، ابتداء من مفهوم الذات في الدراسات الأدبية، مرورا بمفهومها وقد تموضعت في الخطاب الشعري (الذات الشاعرة)، وانتهاء بمفهومها خارج الخطاب الشعري (ذات الشاعر).

خضع مفهوم الذات في الدراسات الأدبية الشعرية على وجه التحديد لمقتضيات عدة منها الهدف من الدراسة، وطبيعة الموضوع وغيرهما.

يرى الدكتور حسين الواد أنها كائن خيالي يتميز بالجمالية الشعرية، ويضبط الفن معظم معالمه، وهو أنا لا يمت للأنا التاريخي بصلة.(١)

ويعرفها الدكتور أحمد حيزم بأنها تتمثل في كفاءة المتلفظ على أن يتنزل في خطابه ذاتا تتشكل وتنمو في غمار تجربة الحياة، ويجلوها في الإنسان بحثه الدؤوب عما يجب من الكون والفعل بوصفه عاملا مسؤولا، وتدل عليها في الكلام عناصر هي الآلة التي تمكن من نقل اللغة إلى خطاب.(٢)

---

(١) ينظر: د. حسين الواد، جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط: ١، ٢٠٠١م، ص: ٤٧-٤٨.

(٢) ينظر: أحمد حيزم من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس، ط: ١، ٢٠١٠م. ص: ١٣٨- ١٣٩.

ويعرفها جبور عبدالنور في "المعجم الأدبي" أنها "اكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية في الفنان أو الأديب، وبروزها بوضوح وتعبير مميز من خلال الآثار التي يبدعها ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص إلى الأعماق، واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية، وعرضها فنيا".(١)

ولقد فرّق أحد الدارسين بين نوعين من الذات هما: ذات الشاعر، والذات الشاعرة ، فذات الشاعر – كما يرى– هي هويته الشخصية، ومقومات وجوده الواقعي، أو الموضوعي بوصفه إنسانا متميزا، أو موهوبا، أو بوصفه كائنا اجتماعيا تنهض فيه إمكانية التفرد.(٢)

أما حين تحدَّد الذات بالوصف (الشاعرة) أي حين تصبح ذاتا شاعرة أو حين يقال الذات الشاعرة فإنها حينئذ تصبح ذاتا أخرى، عرضية، حادثة متموضعة في الحالة، أو في الزمن، أي متحولة عن ذات الشاعر الماهوية، ومتجاوزة لها في آن. (٣)

ومن هنا فالفرق بين (الذات الشاعرة)، و(ذات الشاعر) أن ذات الشاعر ذات ماهوية حقيقية موضوعية، خارجية، أو مرجعية، تمثل وضع الشاعر خارج الشعر، أي قبل أن يصبح في حالة الوجود الشعري، وينطوي عليها وضع الشاعر في الشعر.

---

(١) جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م، ص: ١١٦.

(٢) ينظر: د.عبدالواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م، ص: ١٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص: ١٣.

إن مفهوم (ذات الشاعر) يشبه المعنى اللغوي للذات، حيث إنهما يتشاركان في دلالتهما على الحقيقة، كما "حكى الأزهري عن ابن الأعرابي ذات الشيء حقيقته وخاصته".(١)

وهي أيضا تتطابق مع مفهوم الذات في عدد من تعريفات علم النفس، التي لا تُخرج الذات عن كونها أساس الشخصية، والفرد نفسه، كما أنها كيان افتراضي، وحقيقة سيكولوجية، وموضوع واع بوجود الآخرين، فمثلا لدى مورفي: "الذات هي الفرد كما هو معروف للفرد".(٢)

وفي الفلسفة أيضا ارتبط مفهوم بالنفس والجوهر، والماهية والحقيقة، والشيء نفسه، لا يخرج معنى الذات عن النفس والعين.(٣)

ولذلك فهي أنا وذات لا يمكن إدراكها أو التعرف على هويتها إلا من خلال أقوال الشاعر غير الشعرية أي النقدية، أو التنظيرية، أو التي يصرح من خلالها بهويته أو من خلال سيرته الذاتية، أو من خلال أعماله الشعرية الكاملة، ولذلك فهي من ثم تتطابق –إلى حد ما– مع أنا الشاعر، أو مع أنا الكاتب، أو المؤلف الواقعي في مقابل أنا الكاتب أو المؤلف الضمني.(٤)

---

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، قدم له وصححه ووثق نصوصه وشرح غريبه: د. محمد كشاش، ص: ١٥٨.

(٢) د.ناصر ميزاب، إشكالية مفهوم الذات عبر مقاربات نفسية مختلفة: المصطلح–الأبعاد–المحددات–التناولات النظرية–القياس–المال، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط:١، ٢٠١٣م، ص: ٥٥.

(٣) ينظر: د. معين زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، ٤٥١/١، د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م، ٥٧٩/١، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: ٩٣.

(٤) ينظر: د.عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، ص: ١٣–١٤.

أما الذات الشاعرة فهي ذات عرضية حادثة أو آنيـــة، تمثـــل وضـــع الشاعر الآني (الآن–هنا) في فضاء الشعر أي وقد أخذ الآن هنا في التجربة يواجه بإمكاناته الشعرية وضعَه خارج الشعر، يعيد صياغة العالم، وصياغة علاقته بالعالم على نحو يحقق الولادة الممكنة له وللعالم.(١)

إذن الذات الشاعرة هي الذات الحاضرة في التجربة، والفاعلة فيهـــا، ولذلك فهي التي يمكن إخضاعها للنظر والتحليل.(٢)

والذات بهذا المعنى هي المقصودة في هذا البحث، فهي الذات الشاعرة التي تمثل الوضع الآني للشاعر المغترب في الشعر «وقد أخذ يتعالى علـــى ذاته غير الشاعرة (أي على أناه الواقعية أو المرجعية، التي تمثـــل وضـــع معاناته في الواقع المعاصر) خارج فضاء ذاته».(٣)

(١) ينظر: د.عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، ص: ١٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص: ٧.

(٣) المرجع السابق، ص: ١٦–١٧.

٢-الاستلاب:

من الصعب الوقوف على مفهوم واحد للاستلاب؛ حيث يحمل مصطلح الاستلاب في اللغة العربية معاني متشعبة، ودلالات مختلفة، باختلاف العلوم والمعارف التي تتنازعه، ووجهات نظر الباحثين الذين يتناولونه بالبحث والتحليل، فنجده في الفلسفة، وعلم الاجتماع، والأدب، وعلم النفس، وغيرها، "ويترجم اللفظ باللغة الإنجليزية إلى كلمة "alienation"، بينما في الأدبيات العربية استُخدم بمعان متعددة منها: الاغتراب، والتغريب، والاستلاب"،[١] وغيرها.

وللوقوف على المعنى بشكل دقيق يجدر الوقوف على معناه في معاجم اللغة العربية.

في الصحاح: سلب الشيء سلبا: الاختلاس،[٢] وفي اللسان: "سلبه الشيء يسلبه سَلْبا، وسلَبَاً واستلبه إياه"،[٣] وفي "المعجم الوسيط": سلب الشيء يسلبه سلبا: انتزعه قهرا...، وسلب فلانا: أخذ سلَبَه وجرده من ثيابه وسلاحه".[٤]

إذن لا تخرج معاني الاستلاب عن إطار الإكراه، والأخذ، والتخلي، والطغيان، والتنازل الشعوري واللاشعوري، أو بتعبير آخر حلول إرادة

---

(١) د. مديحة فخري محمود محمد، الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي، مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد الرابع، ٢٠١٩م، ص: ٢٥٣.

(٢) ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٩٨٧م، مادة: سلب.

(٣) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: ١، د.ت، مادة: سلب.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، ط: ٤، مصر، ٢٠٠٤م، ص: ٤٧٠.

أخرى محل إرادة الشخص،[١] ويمكن القول أيضا: إن أصل هذه الكلمة يدور حول طرفين، أحدهما يمثل السلب والنزع، والثاني يمثل الخضوع والعجز.

أما مفهومه في الاصطلاح فمتشعب ومختلف، وذلك راجع إلى ترجمة هذا المصطلح من قِبَل منظّرين وباحثين ذوي مشارب متعددة، وعلوم وتخصصات مختلفة.

حيث واجه مصطلح "alienation" ترجمات عربية متعددة، تقابل المصطلح الغربي، ولعل أبرز ترجمتين لهذا المصطلح هما: (الاغتراب والاستلاب)، إضافة إلى مجموعة أخرى من قبيل: ارتهان، إذعان، وانسلاب.[٢]

ولعل الترجمة الأقرب إلى أهداف البحث هي (الاستلاب) "الذي يدل على وجود قوة قاهرة تفعل "السلبنة" في الآخر، قوة خارجية تفعل فيه الاجتثاث والسلخ"،[٣] سواء استبدلتها بشيء آخر، أم لا.

وفي ظل هذا المعنى عرَّف "معجم المصطلحات العربية والأدب" الاستلاب بأنه: "حالة الفرد الذي يكون -نتيجة لظروف خارجة عن إرادته، اقتصادية أو دينية أو سياسية-قد انقطع عن الانتماء إلى نفسه أو عن الشعور بأنه المتصرف في نفسه".[٤]

---

(١) ينظر: محمد زاوي، الاستلاب في الشعر الجاهلي، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسطنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، العدد ٨، ٢٠٠٥م، ص: ٤٩.

(٢) ينظر: د. سهير عيسى مرعي القحطاني، صور الاستلاب في رائية أبي صخر بين الأسلوب البلاغي والإيحاء النفسي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد ٢٣، ٢٠١٩م، ج: ٥، ص: ١٢.

(٣) ينظر: د. سهير عيسى مرعي القحطاني، صور الاستلاب في رائية أبي صخر بين الأسلوب البلاغي والإيحاء النفسي، ص: ١٢.

(٤) مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م، ص: ٣١.

وفي "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" فتحدث عن ثلاثة معان للاستلاب: الأول هو عبارة عن حالة انبهارية وانسحاقية تحت ظروف خارجية عن الإرادة، والثاني بمعنى انقطاع الانتماء إلى الذات والتشيؤ القهري، أما الثالث: وهو استلاب البطل الروائي وهو حالة سيكولوجية تسمح بتحليل ثنائية الفاعل الروائي.(١)

ولقد وضح "معجم مصطلحات نقد الرواية" العناصر المشتركة في الاستلاب هي حرمان الإنسان من المشاعر أو الحركات أو الأفعال أو الإنتاج، ... وانقطاع التواصل بينه وبين الآخرين، وحتى بينه وبين ذاته والهروب من الواقع إلى عالم الوهم".(٢)

إذن من خلال استعراض مفهوم الذات الشاعرة ومفاهيم الاستلاب في المعاجم العربية(٣) يمكننا أن نتوصل إلى مفهوم الذات الشاعرة المستلبة التي يناقشها هذا البحث وهو: حالة تطرأ على الذات الشاعرة حينما تمر بظروف تمارس سيطرتها عليها، فتشعر أنها مسلوبة الإرادة، أو الوعي، أو القدرة.

يتمظهر الاستلاب من خلال هذا المفهوم في شعر هاشم شفيق بعدّ الغربة والمنفى قوة قمعية تمارس سيطرتها على الذات هي الغربة فتستلبها، وعليه يستعرض هذا البحث إظهار حالات الذات المستلبة وانعكاس سلوكياتها وردود أفعالها في نصوصه الشعرية.

---

(١) ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط:١، بيروت، ص: ١١٣.

(٢) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م، ص: ٢٢.

(٣) للاستزادة: د. سهير عيسى مرعي القحطاني، صور الاستلاب في رائية أبي صخر بين الأسلوب البلاغي والإيحاء النفسي، ص: ١١وما بعدها. حيث تتبعت الباحثة مفهوم الاستلاب بتفصيل.

المبحث الثاني:

حالات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق:

يمكن أن تعرّف حالات الذات المستلبة بأنها حالات شعورية أثرت في تصرفات الذات الشاعرة نتيجة لمؤثرات مختلفة، ويتطلب الوصول إليها توغلا في عالم الذات الداخلي، ورصد أبرز الحالات التي أثرت في الذات التي من الممكن عدها مفاتيح للولوج إلى عالم الذات المستلبة، ومحاولة الوصول من ذلك كله إلى مظاهر تجليات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق.

ويأتي المنفى أحد المفاهيم التي تقترن بحالات الذات المستلبة في هذا البحث، وقد وضح إدوارد سعيد جزءا من مفهوم المنفي، وهو العيش في بلد غريب بسبب سلطة أبعدته، ويعيش حياة شاذة وبائسة، موصوما بوصمة الخارجي، ويرزح تحت وطأة النفي الصارمة وقيوده، وهو مفروض فرضا على الإنسان، أما المغترب فهو الذي يعيش في بلد غريب لأسباب شخصية أو اجتماعية في العادة، وكلاهما يتشاركان بالإحساس بالعزلة والغربة.(١)

لكن في الكثير من الدارسات نجد تداخلا بين هذين المفهومين (المنفي-المغترب)، فكلاهما يشتركان في البعد عن الوطن، لكنهما يختلفان في القسرية والطوعية.(٢)

---

(١) ينظر: إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ص: ١٢٦.

(٢) عرض د. عبدالله إبراهيم في"الكتابة والمنفى" لمفهوم المنفى وقارنه بالاغتراب.

ـ ينظر: عبدالله إبراهيم، الكتابة والمنفى: أدونيس وآخرون، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠١٢م. ص: ٢١ وما بعدها.

عند الحديث عن قصيدة المنفى العراقية يمكن تحديد دائرة الأفكار التي شكلت مضامينها بمسارات قد تتجاور في القصيدة الواحدة، ولكنها تشكل مقصدا واحدا، وكان من بين مظاهرها الأهم موضوع خسران الوطن، أو الإحساس بالابتعاد عنه، حيث ظهرت في نصوص اعتمدت آلية مدافعة لاستعادة صورته، وهذه الآلية انتقلت بالوطن من بداهة الانتساب إلى وعي بتحقيق الفعل الشعري من خلال تفاصيل هذا الانتساب على مستويات معرفية وحسية وتخيلية مختلفة، ولعل المسافة التي بقيت بين الشعراء ومأساة الوطن حرّكت فيهم مخيلة موازية يطغى عليها الإحساس بالفقدان، وتتجه برؤيتها نحو كلية الموت، وقوة سلطانه.(١)

ليس المنفى بقعة غريبة فحسب، إنما هو مكان يتعذر فيه ممارسة الانتماء، يخرّب المنفى قدرة الانتماء، ويحول دون ظهور تلك الفكرة البراقة التي تجتذب الإنسان، ولطالما وقع تعارض بل انفصام بين المنفي والمكان الذي رُحّل/ارتحل إليه، وندر أن تكللت محاولات المنفيين بالنجاح في إعادة تشكيل ذواتهم حسب مقتضيات المنفى وشروطه. (٢)

ومما لا شك فيه إزاء هيمنة هذه الظروف أن تشعر الذات بالاستلاب، فتتأجج في دواخل الذات مشاعر مؤلمة، وتستثير ردود أفعال مختلفة تحكي معاناتها في أرض الغربة.

تظهر حالات الاستلاب لدى الذات الشاعرة من خلال الشعور بالقلق والعجز واللامعنى والكبت، فتتولد لديها ردود أفعال مختلفة، فتلجأ مثلا إلى

(١) ينظر: فاطمة المحسن، أدب المنفى: دراسة في الأدبيات العراقية، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ط: ١، ٢٠١٨م ، ص: ٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: د. عبدالله إبراهيم، الكتابة والمنفى، ص: ٧.

العزلة، أو الثورة أو التشويه وغير ذلك، ويمكن رد تلك الحالات إلى ثلاث حالات تجمعها: الذات المغتربة، والذات المتشائمة، والذات المحبطة.(١)

أولا: الذات المغتربة:

تعددت تعريفات الاغتراب نظرا إلى تعدد وجهاته وأبعاده من جهة، ولارتباطه الوثيق بجذوره الفلسفية التي يعد استخدامه بعيدا عنها أمرا مستجدا نسبيا.(٢) وفي هذا البحث سنحاول أن نعرفه بناء على طبيعة الموضوع الذي يناقشه، وظروف الشاعر -مدار الدراسة-.

فهو حالة شعورية تدفع الذات الشاعرة إلى الشعور بعدم الانسجام بين رغباتها وواقعها، نتيجة لمجموعة من الظروف التي تؤثر في نفسيتها وتفكيرها.

ولقد كان للاغتراب المكاني أثر كبير في الشعور بالاغتراب، فنجد الشعور بالحزن والتعاسة والخيبة واليأس والسأم جلية في نصوصه الشعرية، وبخاصة ما كتب في أرض الغربة، "لأن خلل المحيط لا يدع مجالا للاستقرار والطمأنينة، ومن ثم يعجز المرء أن يجد حلا لما يجري، فيظهر بعد ذلك الشعور بالاغتراب، والقلق والخوف من المجهول، حيث تزيد هذه العوامل من تعميق مسألة الاغتراب بوصفها ظاهرة نفسية".(٣)

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن هذه الحالات قد تتداخل فيما بينها، بمعنى أن الذات المستلبة قد تشعر بالاغتراب، ومتشائمة، ومحبطة في آن، لكن أفردت كل حالة على حدة كي نغوص في تفاصيلها.

(٢) ينظر: حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م، ص: ٥٧. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: ٨، ٢٠١٢م، ص: ٣٤٨.

(٣) ماجد قاروط، المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٨٥: دراسات جمالية، ص: ٢٧١.

حين تشتد وطأة الاغتراب على الذات فإنها قد تقبل بهذا الوضع مضطرة وتعايشه، ولكنها قد لا تقوى على تحمله، فتبحث عن مخرج بسبل مختلفة، منها الانسحاب، أو الرضوخ أو اللجوء إلى التوهم والأحلام، أو التعلق بالعودة إلى الماضي...[1]

فقد تعلن الذات رضوخها واستسلامها لتجربة الاغتراب حينما لا تستطيع السيطرة على حياتها، كما في نص "الميزان"، حيث تواجه سلطتين قهريتين هما: الزمن (الذكريات التي تزور)، والمكان (أفق حجري)، يقول:

لا شيء إذن
غير غروب حجري،
تتحجر في النسمات،
رصيف البحر بعيد،
وبعيد جدا[2]
إلى أن قال:
لا شيء سوى الذكرى
تجلدني في أفق حجري،
في أغساق
لا تحمل غير رماد
يتناثر في الأرجاء

(١) ينظر: حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص: ٥٧. ص: ٨١-٨٢.

(٢) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٢/٤٩٤.

وأنا ميزان مقلوب في الأفق
تقلب كفته الأنواء.[١]

افتتح النص بجملة (لا شيء إذن) التي تظهر الرضوخ والاستسلام بعد عدد من المواجهات والمحاولات في التغيير التي خاضتها الذات مع ويلات الغربة، فتحولت إلى راضخة من خلال تكرار عبارات تحمل دلالات متشابهة (تحجر- حجري- رصيف – أغساق – رماد).

كما تنتشر دلالات التحجر والجمود التي توحي بثبات الحال وتجمده، وقد ختمه بمفردات التناثر والتقلب، التي كأنها رد فعل للجمود والتحجر الذي طرأ عليها في البداية، فالجمود والتحجر (أرض الغربة)، في مقابل اختلال التوازن (الذات الشاعر)، فالذات تحاصرها الذكريات (الماضي) التي جسدها في صورة إنسان بلا رحمة (تجلدني)، يذيقه المرّ في أرض الغربة (أفق حجري)، و(أغساق لا تحمل غير رماد).

وقد يدفع الشعور بالاغتراب الذاتَ إلى ما يسمى بالتخيلات التي تنتج من حلم اليقظة، وأخيلة لا شعورية، وتتميز بغلبة الدوافع العدوانية،[٢] كما أنها تعبير عن الدوافع اللاشعورية، وإفصاح عن حيل الدفاع التي تعتمد عليها الأنا في السيطرة على هذه الدوافع، ومواجهتها بمقتضيات الواقع.[٣]

---

(١) هاشم شفيق، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م، ٢/٤٩٥.

(٢) د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص: ٨١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص: ١٣٠.

ففي نص "حفر في الجدار" ترسم الذات صورة متخيلة لقط، ثم تستعير منه سلوكياته، ومجموعة من أعضائه التي تظن أنها ستواجه بها تجربة المنفى المريرة:

أرسم صورة قط
في الحائط
ثم أكلمه
هل:
تعطيني هاتين العينين الغامضتين
وهذا المخلب
والذيل النائم كالأفعى؟
وأقول:
أنلني قائمة لأسير بها
وأعرني صوتا
لأموء به
وأموء
مواء يخدش وجه المنفى.(١)

تأتي تفاصيل صورة القط دالة على المفقود في أرض الغربة، (السير–الصوت – الكلام)، فهذه التخيلات أعطت صورة متكاملة عن وضع الذات في أرض الغربة، وأفسحت لها مجالا لاستعراض طبيعة حياتها المعيشية في أرض المنفى، كما بينت مواقفها النفسية إزاء تلك التجربة،

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٢٧١/١.

(الرفض – الهروب – الاعتراض)، لكن في المقابل هناك قوة وسلطة لا تستطيع الذات الفرار من حكمها وهي (المنفى).

وقد يدفع الشعور بالاغتراب الذاتَ المستلبة إلى الرفض والثورة، وبخاصة رفض الانتماء إلى الذات، ورفض الواقع الذي تعيشه، فتنكفئ على ذاتها محاولة التغيير؛ لأنها لا تقوى على تغيير واقعها، نتيجة لقوة قهرية تدفعها إلى ذلك الشعور.

ويتجلى رفضها لذاتها –مثلا–في نص "تغيير" حيث ترفض المعالم التي تحدد هويتها، وما يُعرف به الإنسان، مثل: (ملامح الوجه– اليد– التاريخ– الاسم...)، فتهرع إلى استبدالها قصدا إلى الحرية، وطمعا بحياة أفضل، ولم تكتف بالثورة على معالم هويتها الشخصية، بل امتد ذلك إلى التخلص من التاريخ، والحياة، والزمان.

يقول:

استبدلتُ يدي
وجهي وفمي،
للنهرِ رميتُ تواريخي،
أعطيتُ إلى الحجر العاري اسمي،
غيَّرتُ حياتي،
للشمسِ أعرتُ فؤادي،
في الأشجارِ أفرغتُ دمي
ونثرتُ من الشباك خطاي وأزمنتي،
ثمة حدقتُ مليّاً في المرآةِ،
فألفيتُ بأني صرتُ غريبَ الوجهِ

غريبَ يدي ولساني،
فخرجتُ إلى الشارع
وعلى المنفى شالُ زجاج يلتف
في الشارع نادني صوتٌ
هاشمُ يا هاشمُ قفْ[1]

إن تكرار الألفاظ الدالة على محاولة الانقطاع عن الانتماء إلى الـذات (تغيير- استبدلت- أعطيت - اسمي- غيرت) تشكل نقطة الارتكاز الأساسية الدالة عن عدم التوافق مع الوضع الحالي، إضافة إلى وجود قـوة قهريـة خارجة عن إرادة الذات دفعتها إلى ذلك، (شال زجاج يلتف)، كما يأتي تكرار ضمير الأنا دلالة على الاستسلام والخضوع.

وقد يأخذ قلق الحاضر ومصاعبه طابعا متأزما؛ إذ إن المعاناة الحاضرة لا تجد لها إمكانية خلاص في مستقبل منتظر فتحول الحياة إلى جحيم، ويبلغ التوتر الانفعالي درجة عالية بشكل غير طبيعي، فقد يكون الداخل الذي تنتمي إليه الذات منفى لا تنتمي إليه –على حد قول أدونيس–،[2] مما يجـر ردود فعل متطرفة، ذات طابع انفعالي خال من العقلانيـة والتقـدير الموضـوعي للواقع.[3]

كما في نص "رؤيا"، حيث تحشد الذات جميع الأشـياء الدالـة علـى الرفض وتلصقه بذاتها، يقول:

---

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٤٢٤/٢.

(٢) ينظر: عبدالله إبراهيم، الكتابة والمنفى، ص: ٩٠.

(٣) ينظر: د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ١٠، ٢٠٠٧م، ص: ٤٩.

في داخلي إسفنجةٌ
عشب
حديد وعفن
وحلٌ هناك
ثم قطعة من توتياء
كسرة مرآة،
مسامير وأخشاب
إلى أن قال:
وظلمة عميقة
في داخلي رمل، حصى،
أسرار عابر
قمامةٌ، ظل نحاسيٌّ،
دمٌ من قمر مزنجر،
في داخلي شمسٌ مبللةٌ
أنا البئرُ السحيقة. (١)

إن وصف داخل الذات بالأشياء القديمة المهترئة لينبئ عن صراع مع الذات نتيجة للواقع المر الذي تعيشه، فكأن هناك فجوة بين الذات وداخلها، فهي لا تنتمي إليه الذي هو أصلها، فالداخل هو الأصل.

وهنا نلمح تشويها للذات، وتعريتها في قسوة دامية، مما جعلها تقترب من صفات الشخصية السوداوية، ومنها «سوء تقدير السوداوي لذاته، إذ يبدو متحاملا ناقما على نفسه يكثر من العتاب واللوم عليها، ويبالغ

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٢/٥٢٢-٥٢٣.

في تخطئتها، وتجريمها، متوقعا لها العقاب في عصاب هذياني تتكامل به الحالة».[1]

كما تأتي الألفاظ التي وصفت داخل الذات جميعها بصيغة النكرة، إمعانا في الكثرة وعدم التحديد، دلالة على العمومية.

وتأتي جملة (في داخلي) دلالة على أن هناك قوة تمنع من التنفيس عن مشاعره، فالذات هي البئر السحيقة المملوءة بكل ما هو سيء، وهنا يظهر تشويه الذات، ويمكن أن يفسر لجوء الذات إليه نتيجة الكبت الذي تعانيه في أرض الغربة.

وقد تشعر الذات المغتربة بالوحدة فتصارع الواقعَ محاولة البحث عبثا عمن تتشبث به، ويعيدها إلى توازنها فلا تجد في ذاكرتها سوى الأصحاب الذين يشاطرونها تجربة المنفى ذاتها، لكنها تُفاجأ بقوة قهرية أخرى هي أرض المنفى التي اتسعت فأخفت معالمهم، فلم يتبق منهم سوى صورهم:

أنتخب الموجةَ
من قاع الكأس
وأتأمل...
أين صحابي؟
ها إني أفقدهم الواحد تلو الآخرِ
أين أجدهم؟
فهل اتسع المنفى حقاً؟
في بلدان يطمرها البردُ

(١) حسان زمان، السوداوية: المصطلح والمفهوم، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: ٤٧، ٢٠١٧م، مجلد: ب، ص: ٣٠٨.

ويستعمرها الثلج الأسودُ
كوبنهاغن
ستوكهولم
أم في بلدان كابية
تنقصها الألفة
لندن
باريس
وأين سألقاهم؟
في أي رصيف
في أي سماء؟
إني أنتخب البهجة
من قاع اليأس
وأسرح بين مراياهم(١)

تهيمن الدلالات السوداوية على النص، وكلها متعلقة بأرض الآخر أو بالغربة (الفقد- المنفى- يطمر- يستعمر- الأسود- تنقصها الألفة- قاع- اليأس) ، كما تبدو الذات هنا مسلوبة الإرادة بدلالة تكرار التساؤلات التي لا ينتظر لها جوابا.

كما يظهر موقف الذات من الآخر (المكان)، فهي تراه سجنا، وقوة بددت الشمل وفرّقته، (كوبنهاجن- ستوكهولوم- لندن- باريس).

ويأتي أسلوب التضاد الذي امتد على النص (الفقد – الإيجاد – الرصيف – السماء – البهجة – اليأس) دالا على حال الذات المغتربة، معبرا

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٤٢٦/١-٤٢٧.

عما يكتنفها من شعور بالوحدة والاضطراب، فالذات تتنازعها هذه المتضادات حتى لكأنها توزعت في ذوات متعددة متقلبة المزاج والمشاعر.

وقد تحاول الذات الهروب من الحاضر إلى الماضي، والتشبث بالذكريات هربا من سلطة الحاضر، ففي نص «ذاك البحر» ارتبطت أرض الغربة لدى الذات بالوحشة، والبرودة، وإحساس الذات بهما إحساس نفسي معنوي، فهو ناتج عن شعورها بالاغتراب بعد أن فقدت الأمل بالعودة، والاتصال بالوطن، فلجأت إلى التعايش مع الواقع مع شعورها بالغربة.

يقول:

في متناول هذي اليد
كان البحرُ،
فكم داعبتُ حصاهُ
وكم لامستُ الرملة فيهِ
وكم نهلَت كفي من فتنته الأولى
قرب البحر
شربت القهوة
وحسوت شرابا لا ينسى [1]
إلى أن قال في نهاية النص:
أي زمان هذا
حين أكون بعيدا عن رائحة البحر؟
أزجي الوقت كمعتوه
شمسي باردة

(١) هاشم شفيق، الأعمال الشعرية، ١٢٣/٢.

والأصياف ملثمة بالغيم
ولا أفق يعيد البحر إلي
فآمالي أرملة حزنى[١]

تشكل صورة البحر والأحداث التي وقعت بجانبه مفتاحا لتذكر الماضي/الوطن، فصورة البحر اقترنت بالماضي، ومن ثم افتقد الحاضر معناه، ومعه المستقبل؛ إذ لا زمن لديه سوى الماضي.

إن تفكير الذات بمشاهد وقعت حول البحر، والحنين إليها يشبه حالة نفسية أشبه ما تكون بـ (النكوص) الذي يدل في التحليل النفسي على عدد من الظواهر النفسية، تتميز جميعها بتقهقر النشاط النفسي، وهذا الرجوع إلى الوراء قد ينحصر في العودة إلى موضوع الإشباع الذي تتميز به مرحلة سابقة، أو الرجوع إلى حال مبكر من أحوال الأنا.[٢]

إذن ولّدت الغربة المكانية شرخا داخليا في الذات، سبّب لها قلقا وألما خلق بدوره خلخلة في الزمن، ليتجلى صوت الماضي صاخبا في زمن الذات الحاضر، حيث فقد الزمن معناه في حاضر الذات، واكتسى طابع الرتابة والملل الذي عكس الحالة الشعورية.

كما يلحظ أن الذات تعاملت مع الزمن بعشوائية بدليل استخدامها كلمة (معتوه)، وهي ذات دلالات نفسية بالغة العمق؛ لأن ضياع العقل هو ضياع للذات، وعدم تدبير للأمور، فالعَتْه يترافق قطعا مع التيه والضياع.

(١) هاشم شفيق، الأعمال الشعرية، ١٢٤/٢.

(٢) ينظر: فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، علي عبدالسلام القفاش، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص: ١١٤.

ويلحظ أن الذات اتخذت حالة من حالات التعويض التي لجأت إليها للخلاص من الشعور بالاغتراب، وهي اللجوء إلى الذكريات، والنكوص إلى الماضي، وتذكّر تفاصيله الدقيقة، فالماضي الذي لا يعود عبر الزمن الموضوعي استطاعت الذاكرة أن تعيده إلى الذات، وتنتصر به على رتابة الزمن، فالذات تتعايش مع الزمن وتدركه تبعا لحالتها النفسية والشعورية، فتلجأ إلى الماضي هروبا من الحاضر المتردي. (١)

(١) ينظر: إيمان العامري، اغتراب الزمن وانشطار الذات: قراءة في رواية نجوم أريحا لليانة بدر، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد: ١١، ٢٠١٥م، ص: ٤٣٧-٤٣٨.

ثانيا: الذات المتشائمة:

التشاؤم هو "توقع سلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل ويستبعد ما عداه".(١)

إن الإخفاق في محاولة الانسجام بين الذات والواقع (أرض الغربة) نتيجة لظروف خارجة عن الإرادة دفع الذات إلى التشاؤم وعدم الثقة في الحاضر، وعليه يمكن عد الغربة ذات سلطة على الذات مارست تأثيرها في تصرفاته المختلفة، فتارة تشعر الذات بالقلق، أو بالسوداوية، أو بالجمود، وكلها مشاعر تدل على التشاؤم.

والقهر والعجز وانعدام الضمانات المستمرة ماضيا وحاضرا تصبغ المستقبل بالتشاؤم، فتنسد آفاقه، وتفتقد الثقة بإمكانية الخلاص، وانسداد آفاق المستقبل يضخم بشكل غير محتمل آلام الحاضر ومشكلاته.(٢)

في نص "الحقائب" تشتد وطأة المنفى على الذات فتصيّرها قلقة متوترة في حالة تأهب تام للسفر والانتقال، وفي الوقت ذاته تحلم بالاستقرار:

الحقائب مختومة بالغبار
ومكتظة بشؤون الرحيل
حقائبنا مرة في الرصيف
وأخرى بطائرة،
قد نراها بمقطورة تتفكك
أو تتبعثر عند نقاط الحدود_

(١) بدر الأنصاري، التفاؤل والتشاؤم: المفهوم والقياس والمتعلقات، ص: ١٦.

(٢) ينظر: د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ١٠، ٢٠٠٧م، ص: ٤٩.

الحقائب مشدودة للظهور
يحاصرها فندق مهمل
وشوارع كالحة
وسماء مطيرة
وفي آخر الليل
سوف نأوي إليها
ننام بطياتها كالملابس
مستنفرين على غير ما نبأٍ
لنداء السفر.(١)

يدور النص حول ثيمة التنقل والترحال بدلالة تكرار مفردة (الحقائب)، وانعدام الإقامة والاستقرار، فالحقائب ترمز للتنقل وعدم الاستقرار الدال على نمط حياة المغترب، والحقائب هي الماضي والحاضر، وهي المأوى للذات القلقة، كما أن حالة التشرد ليست حالة خاصة بل تجربة جماعية تحكي معاناة المغترب في الشعور بالقلق، وعدم الأمان، فالحديث بصيغة الجمع في (نأوي- ننام- مستنفرين) جعل تجربة المنفى تنفتح على التجربة الجماعية لشعراء المنفى جميعا.

وفي نص "سراب" تعيش الذات المستلبة في عالم من العنف، مما يفقدها السيطرة على المصير، فهي تعاني من قمع سلطتين هما: (الزمان) و(المكان) من خلال عرض مقاطع تستعرض فيها معاناتها في مراحل حياتها المختلفة، وإلقاء اللوم على الآخرين، الذي يعد ظاهريا تبرئة لها، وتسويغا لنظرتها التشاؤمية إلى الحياة:

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٤١٦/١.

لم يقل لي أحد
حين ولدت
إن حياتي ستكون
أقسى من حياة أبي وولدي،
لم يقل لي أحد
حين كنت طفلا
إن الحياة مليئة بالآبار والأنفاق
والدهاليز اللانهائية ،
لم يقل لي أحد
حين كنت فتى ،
إن بلدي ليس بلدا
وصديقي مع عدوي علي
لم يقل لي أحد
حين كنت شابا
إن المنافي أحذية
إلى أن قال:
وحين صرت كهلا:
لم أقل لنفسي:
انتبهي من غد.(١)

إن الاعتماد على العبارات الدالة على مرور الزمان، وانتشارها في جميع مقاطع النص يدل على أن الذات تعاني أزمة مع الزمان، فهي السبب في

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٢/٥٥٥-٥٥٦.

كل بلاء تمر به في أرض الغربة، وقبلها، فاضطراب الوقت الحاضر، والخوف من المصير في المستقبل، كلها أمور دفعت الذات إلى التشاؤم، وتكوين نظرة سوداوية إزاء جميع مراحل حياتها.

بني النص على عدد من المقاطع، كل واحد منها يشكل مرحلة من مراحل الحياة التي مرت بها الذات، ابتداء من الولادة حتى الكهولة، وفي كل مقطع يتكرر القالب نفسه، "لم يقل لي أحد حين كنت"، وبعد كل مقطع يعرض معاناة جديدة للذات، حيث تمتد النظرة السوداوية إلى الحياة من الماضي مرورا بالحاضر إلى المستقبل: (القسوة-الحياة مليئة بالآبار والأنفاق والدهاليز اللانهائية-لا صديق-لا بلد...).

كما يأتي استعمال أسلوب النفي بأداة الجزم (لم)، ودخولها على الفعل المضارع في قوله «لم يقل لي أحد حين كنت»، يدل على قلب زمن المضارع إلى الماضي، وإلقاء اللوم على الآخرين، وهو ما سمح لنبرة التشاؤم بالتسلل إلى النص، مما يعني أنه نفي دل على الاستمرار: استمرار المعاناة والألم.

وتجدر الإشارة إلى أن الذات هنا قد خالفت النظرة الغالبة لدى الشعراء المغتربين، فالشعراء المغتربون ينظرون إلى حاضرهم في أرض الغربة نظرة ملؤها السوداوية والألم، في حين أن الماضي في نظرهم ممتلئ بعبارات التفاؤل والإيجابية، لكنها هنا تبسط نظرتها التشاؤمية على الماضي والحاضر، وتتوجس من المستقبل، مستعينة بأسلوب التوكيد (أنّ) الذي يُقرّ تلك الأمور ويُثبتها، وهذا ما تدل عليه سيكولوجية الإنسان المقهور، حيث إن "طول معاناة الإنسان المقهور، ومدى القهر والتسلط الذي فرض عليه، ينعكس على تجربته الوجودية للديمومة على شكل تضخم آلام الماضي، وتأزم معاناة الحاضر، وانسداد آفاق المستقبل".[1]

(١) د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ١٠، ٢٠٠٧م، ص: ٤٩.

ثالثا: الذات المحبطة:

الإحباط حالة توجد فيها الذات ولديها دوافع مستثارة لا تستطيع إشباعها، نتيجة لتقيدها بقوى أساسية تحد من حريتها في إشباع الدافع إشباعا مباشرا وفوريا وصريحا وكاملا، ومن هذه القوى كون الواقع الخارجي غير ملائم لإشباع الدافع، وهنا تصطنع الذات ما يعرف بحيل التوافق كالكبت، والتسويغ، وغيرها، لتحل الصراع الذي يدور بين الدافع الذي يلح في طلب الإشباع والقوى التي تقف حائلا دون الإشباع، وهي عادة حيل تتسم بالخديعة والالتواء حتى تحقق أقصى ما تستطيعه من توافق نفسي واجتماعي. (١)

وفي نص "أمنية من رماد" نلحظ الشعور بالإحباط الذي جاء نتيجة العجز في التوافق مع الواقع، حيث تكررت التساؤلات وأدوات الشرط الدالة على ذلك، فالفرح والسعادة مقيدتان ومشروطتان بالمعرفة التي امتدت في أنحاء النص، وهي رغبة ذاتية بدلالة همزة المضارعة العائدة إلى الذات، وتتمنى الذات أن تتحقق لها، لكنها بقيت متخبطة في جهلها، فأمست رهينة للأوجاع، والإفلاس، والآهات، والآلام:

لو أعرفُ
كيف أشرّد هذي الأوجاعَ
وأهمزها بالمهماز كحوذي؟
لو أعرفُ
كيف أسوق الإفلاس إلى سرداب

(١) ينظر: د. فرج عبدالقادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط: ١، د.ت، ص: ١٥-١٦.

وأقيم سواتر حوله؟
لو أعرفُ
كيف أطارد قطعان الآهاتِ
إلى أرض أخرى؟
لو أعرفُ
كيف أزوّج قلبي للأفراح
وألبسه أردية البهجة؟[1]

ويقول:
لو أعرفُ
كيف ألمُّ إهابي المسفوحَ
على عتبات الغربة؟
لو أعرفُ
كيف أسوطُ الآلام
وأركلها في الوادي؟[2]

تحاول الذات بعثرة عدد من الآلام والظروف الصعبة التي تعاني منها في أرض الغربة من خلال سرد عدد من الأمنيات مسبوقة بـ(لو) [3] التي هي أداة امتناع، وتفيد التعليق في المستقبل، ومردفة بـ(كيف)، لكن هناك قوة قهرية ذات سلطة تقف حائلا دون المعرفة.

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ١٢٩/٢.
(٢) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ١٣٠/٢.
(٣) لو هنا تفيد التمني، وهي بمعنى ليت، لأنها تدل على تمنّي أمرا مستحيل كما يتضح من سياق النص.

ولقد اعتمد في نهاية النص على التشكيل البصري (البياض والسواد) للتعبير عن حالته النفسية، وفي إبراز دلالة الكبت على وجه التحديد، حتى وهو في وضع التمني، فهو في كل سطر يحذف كلمة من الجملة التي تكررت في مقاطع النص السابقة، حتى لم يتبق له في نهاية النص سوى حرف الواو المكرر، يقول:

لو أعرفُ هذي الأشياء جميعاً
لو أعرفُ هذي الأشياء
لو أعرفُ هذي
لو أعرفُ
لو
لـــــــــ
وووووووووووووو؟ (١)

فالعجز الناتج من الكبت هو واحد من الدلالات المعبَّر عنها بالبياض، وتساقط الأحرف الطباعية، وإلحاق علامة الترقيم (الاستفهام) في نهاية السطر الأخير دلالة على الإنكار.

وقد تشعر الذات المحبطة بما يسمى بـ(اللامعنى) ويعني شعور الفرد بعدم وجود معنى، أو قيمة لحياته، أو مغزى حقيقي للأشياء التي تحدث أمامه، وللممارسات التي يقوم بها.(٢)

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ١٣٣/٢.

(٢) ينظر: قيس النوري، الاغتراب: اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مجلد: ١٠، العدد: ١، ١٩٧٩م، ص: ١٥-١٦.

إن تعذر الانتماء قد يفضي إلى العدمية أحيانا، حيث تتلاشى أهمية الأشياء فتنهار صورة العالم في أعماق المنفي. (١)

ظهر ذلك مثلا في نص "الأيام" إذ لم تعد الذات تتأثر وتتفاعل حسيا مع ما حولها في الغربة.

يقول:

تأتي أيام
لا نلمس فيها شيئاً،
لا نسمة ضوء تأتي
لا رفة أنملةٍ
أو جلبة عينٍ
وضجيج حواجب،
لكأن الإحساس تكلّسَ،
لكأن مشاعرنا تتحجر بالتدريج وتثقلُ،
والصمت كذلك
أضحى يترسب في الأقداحِ،
كذلك بات الطبع
يصير إشارات
أحيانا يتأول،
تأتي أيام
أو تذهب أيامٌ
لا يتبدل فيها شيءٌ

(١) ينظر: عبدالله إبراهيم، الكتابة والمنفى، ص: ١٥.

لا شيءَ يتغير. (١)

عبارة "تأتي أيام" تدل على ثلاثة أمور تتعلق بالذات المغتربة، الأول: أن الشعور بالإحباط وعدم وضوح الهدف ما هو إلا حالة طرأت على الذات نتيجة لظروف معينة، وليس سمة ثابتة في الشخصية، والثاني: أن هذا الشعور ما هو إلا رد فعل على الواقع الذي تعيشه الذات، في هذا النص وغيره من النصوص، والثالث: هو أن الزمن ذو سلطة قهرية تتحكم في مشاعر الذات.

ويلحظ تكرار النفي بـ (لا)، الذي يدل على الرفض: رفض الذات لأي تبدل أو تغير في وضعها، ومن ثم يدل على انعدام الفاعلية لديها، كما ازدحم النص بالأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية، والحركة، التي عمّقت دلالات الجمود والرتابة من جهة أخرى، فالأيام تأتي وتذهب في حين أن الشعور ثابت لا يتغير.

(١) هاشم شفيق، الأعمال الكاملة، ٢/٥٥٠-٥٥١.

الخاتمة:

حاول هذا البحث تقديم دراسة عن الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق، متضمنة الحديث عن مفهومها، وحالاتها، ولقد سار -في أغلبه-على المنهج الموضوعاتي الذي يهتم بالقراءة العميقة للنصوص، واستقراء الثيمات الأساسية التي نهضت عليها.

إن النتائج التي توصل إليها هذا البحث مكّنت من تقديم صورة عامة عن الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق، ذلك الذي عايش ظروفا سياسية، واقتصادية، وحضارية، ونفسية أثرت في نتاجه الشعري بصورة ما، مما يمكن أن يقال إن هذه الظروف هي التي صبغت شعره بسمات جعلته يختلف من وجه ما عن غيره.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

- الذات الشاعرة -مدار الدراسة-هي ذات سلبية لا تبحث عن الخلاص، بل اكتفت بعرض مأساتها وتجربتها المريرة.

- تتمحور معاناة الذات المستلبة في أرض الغربة حول الانتماء، والمصير، والزمن، والمكان، والآخر، ومن جهة أخرى يمكن عدها أبرز الأمور المتسببة في استلاب الذات.

- للغربة المكانية أثر كبير في تشكيل الذات المستلبة، حيث إن أزمة المكان، والبعد عن الوطن هي المتسبب الرئيس في استلاب الذات الشاعرة، فمفهوم الغربة والمنفى حاضر في أغلب نصوصه الشعرية التي كتبها في أرض الغربة، إضافة إلى أثر العامل الذاتي الذي يبيّن طريقة تقبل الذات للأحداث وتفاعلها.

– يمكن القول إن الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق –من خلال النماذج الواردة في البحث–هي ذات مهمشة مغيّبة لا ترى لذاتها وجودا، ولا أهمية إلا في ظل الوطن والجماعة.

– يدور مفهوم الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق حول اللاقدرة، والعجز عن تحقيق الذات، ومواجهة العالم الخارجي، نتيجة لقوى خارجية خارجة عن الإرادة.

ثبت المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١-هاشم شفيق، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م، (جزآن).

ثانيا: المراجع:

أولا: الكتب:

١-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٩٨٧م.

٢-أحمد حيزم من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس، ط: ١، ٢٠١٠م.

٣-إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة: ثائر ذيب، دار الآداب، بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٧م.

٤-بدر محمد الأنصاري، التفاؤل والتشاؤم: المفهوم والقياس والمتعلقات، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مجلس النشر العلمي، ط: ١، ١٩٩٨م.

٥-جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م.

٦- د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

٧- د. حسين الواد، جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط: ١، ٢٠٠١م.

٨-د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م.
٩-د. سهير عيسى مرعي القحطاني، صور الاستلاب في رائية أبي صخر بين الأسلوب البلاغي والإيحاء النفسي، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، العدد ٢٣، ٢٠١٩م، ج:٥.
١٠-د. فرج عبدالقادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط: ١، د.ت.
١١-د. مديحة فخري محمود محمد، الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي، مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد الرابع، ٢٠١٩م.
١٢-د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ١٠، ٢٠٠٧م.
١٣-سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مطبعة بابل، المغرب، د.ط، د.ت.
١٤-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط:١، بيروت، ١٩٨٥م.
١٥-شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، قدّم له وصححه ووثّق نصوصه وشرح غريبه: د. محمد كشّاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
١٦-عبدالله إبراهيم، الكتابة والمنفى: أدونيس وآخرون، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠١٢م.
١٧-عبدالواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م.

١٨- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٩-فاطمة المحسن، أدب المنفى: دراسة في الأدبيات العراقية، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ط: ١، ٢٠١٨م.

٢٠-فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، علي عبدالسلام القفاش، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

٢١-لطفي حداد، أنثولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر، دار صادر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٤م.

٢٢-لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م، ص: ٢٢.

٢٣-ماجد قاروط، المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٨٥: دراسات جمالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، د.ت.

٢٤-مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م.

٢٥-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، ط: ٤، مصر، ٢٠٠٤م.

٢٦-محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: ١، د.ت.

٢٧-محمد زاوي، الاستلاب في الشعر الجاهلي، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسطنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، العدد ٨، ٢٠٠٥م.

٢٨-معين زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط:١، ١٩٨٦م.

٢٩-ناصر ميزاب، إشكالية مفهوم الذات عبر مقاربات نفسية مختلفة: المصطلح-الأبعاد-المحددات-التناولات النظرية-القياس-المال، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط:١، ٢٠١٣م.

ثانيا: المجلات والدويات:

١- إيمان العامري، اغتراب الزمن وانشطار الذات: قراءة في رواية نجوم أريحا لليانة بدر، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد: ١١، ٢٠١٥م.

٢- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: ٨، ٢٠١٢م.

٣- حسان زمان، السوداوية: المصطلح والمفهوم، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: ٤٧، ٢٠١٧م، مجلد:ب.

٤- قيس النوري، الاغتراب: اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مجلد: ١٠، العدد: ١، ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٨٣
٢-	Abstract	٣٨٤
٣-	المقدمة	٣٨٥
٤-	المبحث الأول: ضبط المفاهيم	٣٨٨
٥-	مفهوم الذات الشاعرة:	٣٨٨
٦-	الاستلاب :	٣٩٢
٧-	المبحث الثاني: حالات الذات المستلبة في شعر هاشم شفيق:	٣٩٥
٨-	أولا: الذات المغتربة:	٣٩٧
٩-	ثانيا: الذات المتشائمة:	٤٠٩
١٠-	ثالثا: الذات المحبطة:	٤١٣
١١-	الخاتمة	٤١٨
١٢-	ثبت المصادر والمراجع	٤٢٠
١٣-	فهرس الموضوعات	٤٢٤